

التعريب في الأمة العربية

للككتور محيى المشاب
مدير الإدارة الثقافية للجامعة العربية

تطلع العثمانيون والصفويون الى الثقافة العربية كما تطلعت أوروبا اليها قبلهم ، فجعلت من نقل علوم العرب الى اللاتينية بداية الانطلاق نحو الانبعاث الغربى .
منذ أكثر من مائة سنة بدأ العرب ينتبهون الى ضرورة اللحاق بركب الحضارة الأوروبية التي كانت فى ظلام حين كنا أيمة الثقافة .

العربية ومنها كلية ودمنة ومنها كتب تنسر . وكلنا ينكر عصر المأمون وما كان عليه امر التعريب ، التعريب عن اليونانية وعن الفارسية . فظهرت على اثر ذلك كتب فى الطب وظهر اعلام من العرب ، المسلمين والنصارى على السواء ، فى هذا الميدان . ظهرت أسرة بختيشوع التي كانت من أول الذين عربوا الطب ، ثم ظهر ابن سينا بقانونه كما ظهر الرازي وغيره فى العلم العربى وظهر فى الرياضيات جابر بن حيان واخوانه . وظهرت فى العلوم الانسانية كتب كثيرة بالعربية وكلها معربة عن الفارسية وكلنا يذكر حين يقرأ الادب والتاريخ العربيين أن كتابا من مثل ابن المقفع والجاحظ والمسعودى والبيرونى وابن سينا وغيرهم قد نقلوا الكثير عن كتب فارسية ويونانية وسنسكريتية ، وعلى هذا النحو عربوا كتب الابن والتاج وغيرها من كتب سير الملوك ، وكان المسعودى ينقل عن الفهلوية وكان البيرونى ينقل عنها وعن السنسكريتية ، وكان ابن سينا ينقل عن اليونانية والسريانية وكان الحكام المسلمون فى ذلك الوقت يشجعون حركة التعريب ويعملون على انشاء « خزائن » الكتب التي تحوى علوم الفرس واليونان معربة حتى ينهل منها علماء العرب ويصنفوا على غرارها كتباً لا تزال خير ما فى المكتبة العربية

ولما اجتاحت المغول العالم الاسلامى كانت الثقافة العربية قد أضحت ثقافة أصيلة فكانت حركة النقل من العربية الى الفارسية وبدأت الثقافة العربية بدورها تتخذ لباساً فارسياً فقد نقل علماء المغول الكثير من هذه

روى الجهشيارى فى كتابه الوزراء والكتاب انه لما قلذ الحجاج العراق كان يكتب له صالح بن عبد الرحمن ، وكان يتقلد ديوان الفارسية اذ ناك زادان فروخ ، فخلفه عليه صالح ، فخف على قلب الحجاج وخص به ! فقال لزادان اني قد خففت على قلب الحجاج ولست آمن أن أزيلك عن محلك لتقديمه اياي وأنت رئيسي .

فقال زادان : لا تفعل فانه أحوج الي مني اليه .
قال : فكيف ذلك ؟

قال : لا يجد من يكفيه الحساب .

قال صالح : اني لو شئت حولته بالعربية .

قال زادان ! فحول منه سطرًا .

فحول صالح منه شيئاً كثيراً .

فقال زادان لاصحابه : التمسوا مسكنا غير هذا .

وامر الحجاج صالحا بنقل الدواوين الى العربية . وهكذا بدأت حركة تعريب « الادارة » لكي يتحرر العرب من السيطرة الفارسية فى هذا الميدان . ومن قبل كانت حركة التعريب « العلمية » ، فان الدولة العربية الاموية لم تكد تتسلم زمام العرب حتى قام الامير خالد ابن يزيد بن معاوية بتأليف لجنة من العلماء لكي ينقلوا علوم اليونان الى العربية فكانت ترجمة الى العربية فى علوم الفلك والجغرافية .

واعقب ذلك حركة تعريب كبيرة فى علوم الادب والتاريخ ، وكلنا يذكر ابن المقفع والكتب التي نقلها الى

الكتب ، ونرى ذلك واضحا في « جامع التواريخ » الذي كتبه رشيد الدين وزير هولاكو والذي جعل قسمه العام ترجمة فارسية خالصة لكتب عربية في التاريخ الاسلامي . وبالرغم من وطأة المغول القاسية ، قبل اسلامهم ، فان اكثر ما كتب - اصالة - في زمنهم باللغة الفارسية كان يكتب في الوقت عينه بالعربية لانها رغم الغزو المغولي - لغة الثقافة في العالم العربي الاسلامي . ومثال ذلك تاريخ جنكيز الذي نجد به بالفارسية ونجده بالعربية ايضا . وكان رشيد الدين وغيره يكتب باللغتين معا .

ولم تغف حركة التعريب حتى في اشد العصور حلقة ، ففي عصرى الممالك والعثمانيين عريت كتب كثيرة وانكر الآن على سبيل المثال ، الشاهنامة الفارسية التي نقنها الى العربية البنداري كما أتذكر الآن تراجم عربية لمثنوى جلال الدين الرومي ولكسلتان سعدي .

ويلاحظ المؤرخ المنصف أن هذه الفترة من تاريخ الامة العربية كانت تمثل ، رغم السيطرة السياسية الاجنبية ، سيادة الثقافة العربية فقد نقلت كتب كثيرة من العربية الى التركية والفارسية أيام العثمانيين والصفويين لان اللغة العربية كانت لغة الثقافة .

ولم يكف العثمانيون والصفويون وحدهم يتطلعون الى الثقافة العربية فمن قبلهم تطلمت أوروبا الى ثقافتنا ، ونقلت الى اللاتينية كتبا كثيرة في الطب والعلوم والفلسفة . ولعلنا نذكر في هذا المجال كتب ابن سينا ، والرازي ، وجابر بن حيان والبيروني ، والزهرابي . والتي يقرأ كتابا غربيا في تاريخ الطب والفلسفة والعلوم العربية في الحضارة الغربية ، يرى كيف كان نقل علوم العرب الى اللغة اللاتينية بداية الانطلاق الذي أعقب عصر النهضة في أوروبا .

ومالي أنكر الماضي واخشى أن اظيل . فلانتقل الى تجربة حديثة في « التعريب » قامت بها دولة من أمتنا العربية ، ولأشك أن أكثر من دولة عربية تقوم بالتعريب ولكني أقصر الحديث على الجمهورية العربية المتحدة واتخذ مما حدث فيها مثلا .

منذ أكثر من مائة سنة بدأ العرب ينتبهون الى ضرورة اللحاق بالتقدم العلمي الذي سبقته اليه أوروبا ، التي كانت في ظلام حين كنا أمة في الثقافة ، ثم أخذت عنا وكنا مغلوبين سياسيا على أمرنا ، فتقدموا وجدنا وقطعوا شوطا بعيدا في العلم بينما كنا تحت وطأة الاستعمار نغظ في نوم عميق . بدأ العرب ينتبهون الى ضرورة اللحاق بركب الحضارة فوفد على أوروبا عدد كبير من الشبان العرب يتلقون العلوم والآداب ، فلما

عادوا الى القاهرة انكبوا على الكتب التي درسوها في الغرب فغربوها لكي يفيد منها الطلاب العرب . وقد كان المبعوث يجيء الى القاهرة فيقوم في القلعة معززا ، حتى يفرغ من تعريب كتاب يختاره من أمهات الكتب التي درسها في أوروبا .

وفتحت مدرسة للطب في القاهرة ، وكان التعليم فيها بالفرنسية ثم بالانجليزية ولكن عدد الشبان العرب الذين تنقوا الطب في أوروبا يعودون الى مدرستهم ويبدأ التفكير في التعريب وتظهر كتب في فروع الطب بالعربية ، من جراحة الى تشريح الى طب باطني الى غير ذلك . وتظهر للطب مجلة عربية ويشتهر الطبيب حسن محمود ويتخرج من مدرسة الطب العربية جماعة من الأطباء رأيت منهم الدكتور محمد القلماوي الذي لا تزال أسرته تحتفظ بمكتبته الطبية العربية .

ويأبى الاستعمار أن تسير حركة التعريب في طريقها الطبيعى ، ولقد كان من خطته أن يخلف بين المثقفين جماعة يدينون بالولاء الثقافي والاجتماعي لانجلترا ، من كنا نسميهم *England men* أي رجال انجلترا ، أو كانوا هم يسمون أنفسهم كننك ، ويعود تدريس الطب بالانجليزية ، ولكن الى حين ، فان حركة طبية للتعريب يقوم بها جهاز متخصص تعمل على تعريب أمهات الكتب الطبية والعلمية يعمل الآن في القاهرة .

وأريد أن أضرب مثلا بمجال التعريب في القانون ، بكل فروع ، من مدني وجنائي واداري ومالي ودستوري واقتصادي ، فقد كان القانون والاقتصاد يدرسان في القاهرة بالفرنسية ثم بالانجليزية . وفكر ليف من الشبان المثقفين ، في القاهرة ثم في فرنسا أو انجلترا ، في أن يعربوا تدريس القانون والاقتصاد ، فغربوه وجعلوا دراستهما في مدرسة الحقوق ثم في كلية الحقوق حين انضمت الى الجامعة ، باللغة العربية الخالصة . وأني لانكر من الرجال الذين قاموا بهذا العمل الجليل بنجاح تام الاساتذة : أبو هيف ومحمد صالح وكامل مرسي وأحمد أمين رحمهم الله ثم السنهوري والعشماوي ، فقد حمل هؤلاء الاعلام رسالة تعريب القانون والاقتصاد ، وكانوا العماد الذي عسرت على أسسه النظم القضائية والادارية والاقتصادية في الجمهورية العربية المتحدة .

أحب أن الفت النظر بعد هذا الى ثلاث نقاط :
الأولى : أننا حين ندعو الى التعريب ندعو في الوقت نفسه الى دراسة اللغات الأروبية في مدارسنا حتى يكون في استطاعة الطالب أن يرجع الى المراجع

ولنعلم أن العلم ليس قاصراً على الغربيين وخدمهم ، ولنعمل لامتنا بلغتنا وعلى طريقنا .

النقطة الثالثة : قضية اللهجات أن صح أن لها قضية . فقد سمعت أن بين بلاد الأمة العربية اختلافاً في اللهجات ، الأمر الذي يجعل تعريب المصطلحات العلمية عسيراً . ليست اللهجات المتعددة مما يثير الخوف أبداً . فأهل القاهرة حين ينتقلون إلى صعيد مصر من الجمهورية العربية المتحدة يسمعون لهجة خاصة وكذلك إذا انتقلوا إلى الإسكندرية ، ولا يفيد هذا اختلافاً في اللغة ، فاللهجات موجودة في كل أمة ولا ضير على اللغة ، والمصطلحات تشتق من العربية الفصحى ، من لغة القرآن ، اللغة التي تجمع الأمة العربية كلها . ولذلك لا يخيفنا أن تتعدد لهجاتنا لأن الجامع بيننا لغة القرآن التي تعد هذه اللهجات منطوية خالصة بالنسبة لها .

إنما انني يجب أن نعمله هو أن نخلي هذه اللهجات من الهجين الدخيل الذي أدخله الاستعمار معه . فلننبذ الكلمات الانجليزية والفرنسية ولنتمسك بلغتنا العربية انفسحى ولا ضير علينا من تعدد اللهجات المحلية .

فلنسر إذا قدما في « التعريب » وليكن شعارنا أن الاستقلال السياسي لا يتم بغير الاستقلال الثقافي . وأن العزة كل العزة والكرامة كل الكرامة أن تكون لغتنا هي لغة ثقافتنا .

الأوروبية إذا كان ممن سيواصلون التعليم فوق الليسانس ، فنحن نعنى بتدريس لغة أوروبية في التعليم الثانوي ويتابع الطالب دراسة هذه اللغة في الجامعة ليقرأ بها المراجع التي يتطلب الرجوع إليها ، وأنا فنحن لا نقطع صلاتنا الثقافية بالغرب ولكننا نعز بلغتنا ونريد أن نتعلم بها وفي الوقت نفسه نعني عناية فائقة بالثقافة التي تعد اللغة الأجنبية وسيلة إليها ، لنكون على صلة دائمة بالتقدم العلمي العالمي .

فلا يقولن أحد اننا « بالتعريب » نقطع عن الثقافة العالمية .

النقطة الثانية : أننا يجب أن نثق بانفسنا حين ندعو إلى « التعريب » فنحن أمة مشهود لها بالذكاء وبالاصالة ، من قبل كنا حملة مشعل الثقافة وأن الاوان اليوم لان نحمل هذا المشعل .

أضرب اليكم مثلا بالشبان الذين يتخرجون في جامعاتنا العربية ثم يوفدون إلى أوروبا أو أمريكا ليتابعوا دراساتهم للدكتوراه . كثير من هؤلاء تعريب الجامعات في الخارج بالبقاء فيها كأساتذة ، ولما يمض على تلقيهم العلم فيها أكثر من سنتين ، لو كنا أمة متخلفة لما استبقت أمريكا مثلا في جامعاتها عددا من مهندسينا واطبائنا لكي يعلموا في جامعاتها . فلنثق إذا في انفسنا

